



## أضرار المعاصي على الأفراد والمجتمعات

### ملخص الخطبة

- ١- الذنوب والمعاصي من أعظم الأضرار. ٢- من أضرار الذنوب والمعاصي. ٣- من آثار الذنوب والمعاصي. ٤- من عقوبات الذنوب والمعاصي. ٥- ضرر المعاصي لا يقتصر على أصحابها.

### الخطبة الأولى

إخوة الإسلام، إن الله جل وعلا لا يأمر إلا بما يتضمّن كلّ خير للعباد، وما يحقّق المصالح في المعاش والمعاد. ومن هنا فالذنوب والمعاصي من أعظم الأضرار على العباد والبلاد، بل كلّ شرّ في الدنيا والآخرة فأساسه ارتكاب القبائح والموبقات، وسببه اجتراح المعاصي والسيئات. الذنوب والمعاصي كم أزلت من نعمة، وكم جلبت من نقمة، وكم أحلت من مذلة وبليّة. معاشر المسلمين، للمعاصي من الآثار القبيحة المذمومة ما يعود على الفرد والجماعة، وما يصيب القلب والبدن، وما يعمّ الدنيا والآخرة، ما لا يعلمه إلا الله جل وعلا. وإن من أضرار الذنوب والآثار السيئة للمعاصي يعود على الناس كافة، ويضرّ بالمجتمع عامة. فمن تلك الأضرار البالغة والآثار السيئة أن المعاصي سبب لحرمان الأرزاق، وسبب لفشو الفقر وحرمان البركة فيما أُعطي العباد، جاء في المسند عن النبي : ((إن الرجل ليُحرّم الرزق بالذنب يصيبه)) (١) [١]، يقول ابن عباس رضي الله عنهما: (إنّ للحسنة ضياءً في الوجه، ونوراً في القلب، وسعة في الرزق، وقوة في البدن، ومحبة في قلوب الخلق. وإنّ للسيئة سواداً في الوجه، وظلمة في القلب، ووهناً في البدن، ونقصاً في الرزق، وبُغضاً في قلوب الخلق) (٢) [٢]. المعاصي والذنوب متى تفشّت في المجتمع تعرّست عليه أمورُه، وانغلقت أمامه السبل، فيجدُ أفرادُه حينئذ أبواب الخير والمصالح مسدودةً أمامهم، وطرقها معسرة عليهم، ولا غرو فالله جل وعلا يقول: وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً [الطلاق: ٤]. المعاصي سبب لهوان العبد على ربّه وسقوطه من عينه، قال الحسن البصري رحمه الله "هانوا عليه فعصوه، ولو عزّوا عليه لعصمهم" (٣) [٣]. ومتى هان العبد على الله جل وعلا لم يُكرمه أحد كما قال سبحانه: وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ [الحج: ١٨]. وإن المجتمع المسلم متى فشت فيه المعاصي والموبقات وعمّت بين أبنائه الذنوب والسيئات كان ذلك سبباً في ذلته وصغاره أمام المخلوقات جميعها، ففي مسند أحمد عن النبي : ((وجُعلت الذلة



والصغارُ على من خالف أمرِي)) (٤) [٤]، فالعزّة إنما هي في تحقيق طاعة الله وطاعة رسوله ، مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً [فاطر: ١٠].

لما فُتحت فُبرص بكي أبو الدرداء رضي الله عنه فقيل له: ما يبكيك في يوم أعرَّ الله فيه الإسلامَ وأهله؟ فقال: (ما أهون الخلق على الله إذا أضاعوا أمره، بينما هي أمة قاهرة ظاهرة لهم الملك تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى) (٥) [٥].

جاء في المسند عن النبي أنه قال: ((يوشك أن تتداعى عليكم الأمم من كلِّ أفق، كما تتداعى الأكلةُ على قصعتها))، قلنا: يا رسول الله، أمن قلة يومئذ؟ قال: ((لا، وأنتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، تنزع المهابة من قلوب عدوكم، ويُجعل في قلوبكم الوهن))، قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: ((حبُّ الدنيا، وكراهة الموت)) (٦) [٦]، وفي المسند أيضاً وسنن أبي داود بسند حسن عن النبي أنه قال: ((إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً، لا ينزعه حتى تراجعوا دينكم)) (٧) [٧]، وفي رواية: ((أنزل الله عليكم من السماء بلاءً، فلا يرفعه عنكم حتى تراجعوا دينكم)) (٨) [٨]. ولذا كان من دعاء بعض السلف: "اللهم أعزني بطاعتك، ولا تدلني بمعصيتك" (٩) [٩].

إخوة الإسلام، من آثار الذنوب والمعاصي على البلاد والعباد أنها تُحدث في الأرض أنواعاً من الفساد في الماء والهواء والزرع والثمار والمسكن وغيرها، قال جل وعلا: ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ [الروم: ٤١]. والمراد بالفساد في الآية النقص والشور والآلام التي تحدث في الأرض عند معاصي العباد، فكُلُّما أحدثوا ذنباً أحدث الله لهم عقوبة، قال بعض السلف: "كُلُّما أحدثتم ذنباً أحدث الله لكم من سلطانه عقوبة"، قال مجاهد: "إذا ولي الظالمُ وسعى بالظلم والفساد فيحبس الله بذلك القطر، حتى يهلك الحرث والنسل"، ثم قرأ هذه الآية ثم قال: "أما والله، ما هو ببحركم هذا، ولكن كلَّ قرية على ماءٍ جارٍ فهو بحر" (١٠) [١٠]، ويمثله قال غيره من المفسرين.

جاء في سنن ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال : ((يا معشر المهاجرين، خمسُ خصالٍ أعوذ بالله أن تدركوهن: ما ظهرت الفاحشة في قوم حتى أعلنوا بها إلا ابتلوا بالطواعين والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا، ولا نقص قومٌ المكيالَ والميزان إلا ابتلوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان، وما منع قومٌ زكاة أموالهم إلا مُنعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يُمطروا، ولا خفر قومٌ العهد إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تعمل أمتهم بما أنزل الله جل وعلا في كتابه إلا جعل الله بأسهم بينهم)) (١١) [١١]،

وفي المسند من حديث أم سلمة: ((إذا ظهرت المعاصي في أمتي عمَّهم الله بعذاب من

عنده)) (١٢) [١٢].



إخوة الإيمان، ومن آثار المعاصي على العباد تسلط الأعداء وتمكن الأشرار من الأخيار، جاء عن النبي أنه قال: ((والذي نفسي بيده، لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذاباً من عنده، ثم تدعونه فلا يُستجاب لكم)) رواه الترمذي وقال: "حديث حسن"، وحسنه المنذري وغيره(١٣)(١٣).

معاشر المسلمين، من عقوبات الذنوب والمعاصي أنها تزيل النعم، وتحلّ النقم، وتقلب الأمن مخاوف، والسعادة شقاءً والصلاح فساداً، وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير [الشورى: ٣٠]، قال علي رضي الله عنه: (ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع إلا بتوبة) (٤) (١٤). فمتى غير العباد طاعة الله جل وعلا بمعصيته، وغيروا شكره بكفره وأسباب رضاه بأسباب سخطه غيرت عليهم النعم التي هم فيها، ومتى غيروا المعاصي بالطاعة غير الله عليهم العقوبة بالعافية والذل بالعز والشقاء بالسعادة والراحة والطمأنينة، إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مردّ له وما لهم من دونه من والٍ [الرعد: ١١]، ذلك بأن الله لم يك مغيّراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم [الأنفال: ٥٣].

أيها المسلمون، من عقوبات المعاصي والآثام انتشار الأمراض النفسية بين أفراد المجتمع، وحلول المخاوف والقلق، وحصول الهم والضجر. ذلكم أن الذنوب تصرف القلوب عن صحتها واستقامتها إلى مرضها وانحرافها، فلا يزال القلب مريضاً معلولاً لا ينتفع بالأغذية التي بها حياته وصلاحه، فتأثير الذنوب في القلوب كتأثير الأمراض في الأبدان، بل الذنوب أمراض القلوب وداؤها، ولا دواء لها إلا بتركها.

قال جل وعلا: إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم [الانفطار: ١٣، ١٤]، قال العلامة ابن القيم رحمه الله: "ولا تحسبن أن النعيم في هذه الآية مقصور على نعيم الآخرة وجحيمها فقط، بل في دورهم الثلاثة هم كذلك، أعني: دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار. فهؤلاء. أي: أصحاب الطاعة. في نعيم، وهؤلاء. أصحاب العصيان. في جحيم، وهل النعيم إلا نعيم القلب؟! وهل العذاب إلا عذاب القلب؟! وأي عذاب أشد من الخوف والهم والحزن وضيق الصدر؟! انتهى كلامه رحمه الله(١٥)(١٥).

ولذا. عباد الله. فأهل الطاعة والتقوى في مأمن من الهموم والغموم، وفي بعد عن الضجر والقلق، ذلك بأنهم حققوا طاعة الله، واجتنبوا معاصيه، فرينا جل وعلا يقول: فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون [الأنعام: ٤٨]، ويقول عز من قائل: إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون [الأحقاف: ١٢].

فاتقوا الله عباد الله، وحققوا طاعته تفلحوا، واجتنبوا معاصيه تسعدوا، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً [الأحزاب: ٧١].



بارك الله لي ولكم في القرآن، ونفعنا بما فيه من الآيات والبيانات، أقول قولي هذا، وأستغفر الله إنه هو الغفور الرحيم.

### الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً لا ينفد، وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الفرد الصمد، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أفضل من تعبد، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيها المسلمون، أوصيكم ونفسي بوصية الله جل وعلا للأولين والآخرين: وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ [النساء: ١٣١].

إخوة الإيمان، الذنوب والمعاصي تمحقُ بركة الدنيا والدين، تمحقُ بركة العمر والرزق، وبركة العلم والعمل وغيرها، بل ما مُحقت البركةُ من الأرض إلا بمعاصي الخلق، والله جل وعلا يقول: وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَا كِنِ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ [الأعراف: ٩٦]، والله جل وعلا يقول: وَاللَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَّاءً غَدَقًا [الجن: ١٦].

ولذا فيا عباد الله، إن معصية العاصي تعود على غيره بشؤم هذا الذنب، فيحصل الضرر حينئذ على الجميع، قال أبو هريرة رضي الله عنه: (إن الحبارى لتموت في وكرها من ظلم الظالم) (١٦) [١]، ويقول غير واحد من أهل السلف: "إن البهائم تلعن عصاة بني آدم إذا اشتدَّت السنة وأمسك المطر، تقول: هذا بشؤم معصية ابن آدم" (١٧) [٢].

الذنوب والمعاصي تجرئ على العبد ما لم يكن يجترئ عليه من أصناف المخلوقات، فتجترئ عليه الشياطين بالأذى والإغواء والوسوسة والتخويف والتحزين وإنسائه ما به مصلحته في ذكره ومضرته في نسيانه، ويجترئ عليه حينئذ شياطين الإنس بما تقدر عليه من أذاه في غيبته وحضوره، بل ويجترئ عليه أهله وخدمه وأولاده وجيرانه، قال بعض السلف: "إني لأعصي الله فأعرف ذلك في خلق دابتي وامراتي" (١٨) [٣]، ذلكم أن الله يدفع عن المؤمنين الطائعين شرور وأضرار الدنيا والآخرة، فانه جل وعلا يقول: إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا [الحج: ٣٨].

عباد الله، إن الله أمرنا بأمر عظيم، ألا وهو الصلاة والسلام على النبي الكريم. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ونبينا محمد، وارض الله عن الخلفاء الراشدين...



- (١) أخرجه أحمد (٢٧٧/٥)، وابن ماجه في الفتن (٤٠٢٢)، والطبراني في الكبير (١٠٠/٢)، والبيهقي في الشعب (١٠٢٣٣) من حديث ثوبان رضي الله عنه، وصححه ابن حبان (٨٧٢)، والحاكم (١٨١٤)، وحسنه العراقي كما في مصباح الزجاجة (١٥/١)، وأورده الألباني في ضعيف الترغيب (١٤٧٣، ١٤٧٨).
- (٢) انظر: الاستقامة (٣٥١/١)، ومدارج المسالكين (٤٢٤/١).
- (٣) انظر: جامع العلوم والحكم (ص١٨٨).
- (٤) جزء من حديث علقه البخاري بصيغة التمريض في الجهاد، باب: ما قيل في الرماح، ووصله أحمد (٥٠/٢) بتمامه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وأخرج أبو داود في اللباس، باب: في لبس الشهرة (٤٠٣١) جزءا منه، قال ابن تيمية كما في المجموع (٣٣١/٢٥): "هذا حديث جيد"، وقال العراقي في تخريج الإحياء (٣٤٢/١): "سنده صحيح"، وحسن إسناده الحافظ في الفتح (٢٧١/١٠)، وصححه الألباني في حجاب المرأة المسلمة (ص١٠٤).
- (٥) أخرجه الطبري في تاريخه (٦٠٢/٢)، وأبو نعيم في الحلية (٢١٧/١)، وابن الجوزي في المنتظم (٣٦٤/٤).
- (٦) رواه الإمام أحمد (٢٧٨/٥)، وأبو داود في الملاحم (٤٢٩٧) من حديث ثوبان رضي الله عنه، وصححه الألباني بمجموع طرقه في السلسلة الصحيحة (٩٥٨).
- (٧) أخرجه أحمد (٤٢/٢، ٨٤)، وأبو داود في البيوع (٣٤٦٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وصححه ابن القطان كما في التلخيص الحبير (١٩/٣)، وقوَاه ابن القيم في تعليقه على سنن أبي داود (١٠٤/٥)، وصححه الألباني بمجموع طرقه في السلسلة الصحيحة (١١).
- (٨) أخرجه أحمد (٢٨/٢) بنحوه.
- (٩) روي هذا من دعاء جعفر بن محمد، أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٩٦/٣).
- (١٠) [١٠] أخرجه ابن جرير في تفسيره (٤٩/٢١).
- (١١) [١١] أخرجه ابن ماجه في الفتن (٤٠١٩)، والبيهقي في الشعب (١٩٧/٣)، وصححه الحاكم (٥٤٠/٤)، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني بمجموع طرقه في السلسلة الصحيحة (١٠٦).
- (١٢) [١٢] أخرجه أحمد (٣٠٤/٦)، والطبراني في الكبير (٣٢٥/٢٣)، وقال الهيثمي في المجمع (٢٦٨/٧): "رواه أحمد بإسنادين، رجال أحدهما رجال الصحيح".
- (١٣) [١٣] أخرجه الترمذي في الفتن (٢١٦٩) من حديث حذيفة رضي الله عنه، وأخرجه أيضا أحمد (٣٨٨/٥، ٣٩١)، والبيهقي في الشعب (٧٥٥٨)، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (١٧٦٢).
- (١٤) [١٤] انظر: طريق الهجرتين (ص٤١٥). وروي من كلام العباس في دعائه لما طلب منه



عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أن يستسقي لهم، عزاه الحافظ في الفتح (٤٩٧/٢) للزبير بن بكار في الأنساب وسكت عنه. وروي من كلام عمر بن عبد العزيز، انظر: مجموع الفتاوى (١٦٣/٨).

(١٥) [١٥] الجواب الكافي (ص ٥١).

(١٦) أخرجه ابن جرير في جامع البيان (١٢٦/١٤)، والبيهقي في الشعب (٧٤٧٩).

(١٧) أخرجه سعيد بن منصور (٢٣٦)، وابن جرير في جامع البيان (٥٤/٢، ٥٥) عن مجاهد بنحوه.

(١٨) روي من كلام الفضيل بن عياض، أخرجه عنه أبو نعيم في الحلية (١٠٩/٨)، وانظر: صفة الصفوة (٢٣٨/٢)، وجامع العلوم والحكم (ص ١٨٧).